الخزف ذو البريق المعدني

- بحث من إعداد : أنس عبد الكريم محمود

مدونتي في منصة أريد:

صفحتي في Research Gate:

ملخص البحث:

يعتبر الخزف ذو البريق المعدني والذي كثر استخدامه فيما مضى من الدهر، من أحد عناصر الفنون والمظاهر المهمة في إبراز ثقافات الشعوب، إضافة الى إبراز المهارات في عمليات التلوين والتزجيج والتي أظهرت دقة الفنانين الذين عملوا على إنجاز هذه التحف الفريدة.

لم يعرف لغاية الآن تحديداً، الوقت الذي برز فيه إنتاج الخزف المعدني في ظهوره الأول، رغم إن أقدم النماذج التي اكتشفت تعود الى سامراء الى الحقبة العباسية، اعتبرت تلك النماذج هي الأقدم تاريخيا بالنسبة للخزف ذو البريق المعدني.

إن تطور النماذج اللاحقة في الفترات والحقب التاريخية أدى الى ظهور نماذج أكثر دقة وجمال وكذلك التنويع في دقة الرسوم ومواضيعها.

الكلمات المفتاحية:

- خزف، بريق، معدن، معدني، سامراء، فاطمي، عباسي.

Summary:

The metallic sparkle ceramic, which has been widely used in the last century, is an important element of art and manifestation in highlighting people's cultures, as well as highlighting the skills in coloring and glazing processes that have shown the accuracy of the artists who worked on these unique artifacts.

It is not yet known exactly when the production of metal porcelain emerged in its first appearance, Although the oldest models discovered date back to Samarra in the Abbasid period, these models were historically considered to be the oldest for ceramics with metallic sparkle.

The evolution of the models in historical periods and periods has led to the emergence of more accurate and beautiful models as well as diversification in the accuracy and themes of drawings.

Keywords

- Ceramics, glitter, metal, metallic, Samarra, Fatimid, Abbasi.

المقدمة:

إن ظاهرة التأثر بالفنون السابقة لا ترجع الى الفن الإسلامي فقط، بل هي ظاهرة عالمية وسنة طبيعية، فما من فن إلا وأقتبس من آثار الفنون السابقة كما إن الحضارات جميعها سلسلة متصلة الحلقات [1] .

ولذلك لا يمكن التكهن بانعزال الفنون الإسلامية عن نظيراتها من الفنون أو معاصراتها من الحقب الأخرى، ولكن ما كان يميز هذه الفنون محافظتها على الوحدة الموضوعية.

تسارعت الفنون الإسلامية في تطورها ضمن وتيرة متسارعة إبان الدولة الأموية، ومع زيادة توجهات الخلافة العباسية نحو العمران ازدهرت فنون الزخرفة والنقش والخط العربي، وكان للتوجه العلمي في زمن المأمون وقعه في بنية الجسد الفكري الإسلامي.

ومع كل ما وصلت إليه الدولة الإسلامية من قوة وتنوع مظاهر فكرية مع زيادة الرقعة الجغرافية من خراسان الى أعتاب المغرب العربي كان العلم مفتاح تقدم الفن الإسلامي، فلولا تقدم الكيمياء لما اكتشف المسلمون البريق المعدني الذهبي لزخرفة الأواني

[1] (حسني، 2009).

الخزفية لتعوضـــهم عن الأواني الذهبية التي كرهها فقهاء المســـلمين، كما أن المهندســـين وضعوا شروحًا للفنانين كما فعل البوزجاني في كتابه (ما يحتاج إليه الصانع) [2]

في أواخر القرن الثاني عشر والنصف الأول من القرن الثالث عشر في سوريا، تم دمج تقنية الرسم ذو البريق مع الرسم تحت التزجيج، كما تم أيضًا في إنتاج الخزف المؤقت وبعد ذلك في إيران وإسبانيا. كان الإناء ذو العروة المستدقة شكلًا شائعًا للأواني السورية المطلية بالبريق المعدني، وبعض الســـمات المميزة له هي بريق بني فاتح ممزوج باللون الأزرق المطلي تحت التزجيج ، وخلفية لولبية ملفوفة بإحكام تذكرنا بالنقوش المحفورة. أو مخطوطات مطاردة على الأعمال المعدنية المعاصـــرة. ترتيب مختلف التصـــاميم الخطية والهندسية والنباتية في سلسلة من النطاقات متحدة المركز يقطعها نموذج زخرفي مميز [3].

مشكلة البحث:

يعتبر الخزف ذو البريق المعدني واحداً من أهم المتغيرات التي طرأت في حياة الأنســـان ، وذلك لارتباطه بناحيتين ، وهما الجانب العملي الذي بدأت معه مفاهيم الكيمياء بالازدهار ومعها بدأ الفنانين والعاملين في مجالات الحرف اليدوية بتطوير أنفســـهم والبحث عن خامات جديدة لإنتاج نماذج فريدة تفتح لهم مصـــدرا معاشـــيا مقبولاً ، ومن الجانب الثاني الفني الذي غير من مفاهيم التعامل مع مفردات الحياة اليومية من الأواني والأباريق وغيرها وتحويلها من مجرد أداة الى تحف فنية تســـتحق أن تقتنى وتهدى وتقدم الى الملوك وتغريهم لكسب الرضا والمال ، بل وأصبحت مصدرا للتباهي أيضاً.

ما هو الخزف ذو البريق المعدني، ومن أين يأتي هذا البريق الذي جعله بديلا للذهب في بعض النماذج، وما هي المواد المستعملة في انتاجه، وهل يوجد حد زمني يبين مدى قدمهِ تاريخياً؟

---

[2] (عزب، 2019، صفحة 146)

[3] متحف الميتروبوليتان، النشرة السنوية.

البريق المعدني:

ربما لا يوجد لغاية الآن تاريخ واضح يحدد من خلاله بداية ظهور الخزف ذو البريق المعدني، وذلك لأن صـــناعة الفخاريات ذات البريق المعدني ظهرت على نحو مفاجئ في مصر أيام الفاطميين ، والأنية الفخارية المزينة بالزخارف الذهبية المعقدة في كاشان ، وبهاء المشـغولات الأندلسـية الإسـبانية موجودة في الطلاءات الأولى ذات البريق المعدني ، كلها دلت على بدايات مختلفة تماماً ، ولكنها ارتبطت بشـيء واحد فقط ، وهو التقنية المسـتخدمة نفسـها ، حيث ان عملية دمج المركبات المعدنية بسـطح طلاء زجاجي وتحويلها بواسـطة الاختزال الى غشاء معدني قزحي الألوان [4]

أن هذا اللمعان في الخزف هو عبارة عن طبقة رقيقة من المركبات النانوية المعدنية المصـنوعة من الزجاج ومعدن النحاس أو جسـيمات الفضـة النانوية مدمجة في مصـفوفة زجاجية قائمة على السيليكا.

يتراوح حجم جزيئات المعدن من 2 إلى 50 نانومتر والطبقة السـميكة بأكملها تقريبًا 100 نانومتر إلى 1 مم.

الخاصـية الأكثر لفتًا للانتباه في السـطح اللامع هو قدرته على عكس الضـوء مثل السـطح المعدني أو على وجه الخصـوص ليبدو كطبقة ذهبية ، رغم إننا نعلم الآن أن التأثير الشـبيه بالذهب للبريق هو نتيجة الحجم النانوي لجسـيمات الفضـة النانوية المعدنية في الوقت الحاضـر [e53] ، ربما يعتقد الحرفيون في العصـور الوسـطى ذلك كانت العملية عبارة عن كيمياء حيث كان الفضة والنحاس يبدو أنه تحول إلى ذهب.

تم تطبيق تقنية اللمعان لأول مرة على الأجسـام الزجاجية في أوائل مصـر الإسـلامية وبعد ذلك في الخزف المزجج في العصـور الإسلامية المبكرة، وفي العراق في القرن التاسـع الميلادي [5]

[4] ينظر في: (سميث، 2011، صفحة 19)

[5] T. Pradell, J. Molera, A.D. Smith, M.S. Tite, The invention of lustre: Iraq 9th and 10th centuries AD, J. Arch. Sci. 35 (2008) 1201e1215

تتضـمن تقنية اللمعان تقنية متطورة وعملية مبتكرة تنطوي على تفاعل الطلاء اللامع مع سطح الزجاج عند درجة حرارة منخفضة نسبيًا تبلغ بين 500 و600 درجة مئوية.

ينتج عن هـذا التفـاعـل إدخـال أيونـات الفضـة والنحاس في الزجاج عن طريق الوسـائل التبادل الأيوني مع الأيونـات القلوية من الزجاج [6].

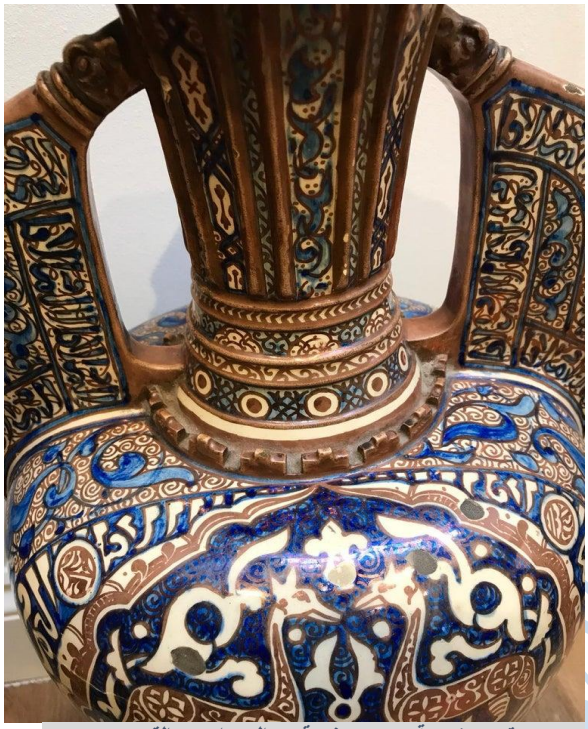

صورة 1 مزهرية بريق معدني قصر الحمراء من القرن 19 ، مصنوعة في إسبانيا للسوق الإسلامية

ينتج عن هـذا التفـاعـل إدخـال أيونـات الفضـة والنحاس في الزجاج عن طريق الوسـائل التبادل الأيوني مع الأيونـات القلوية من الزجاج. وفي بعض الأحيان مدمجة في الزجاج ، أنواع مختلفـة: Cuþ و Cu2þ لمحـات النحـاس. و Agþ و (0Agn)þ شـكلت من بريق الفضـة. التطبيق اللاحق لجو الفرن المختزل سـيحول أيونات المعدن إلى شـكل معدني، ومنها يمكنها بعد ذلك أن تتجمع في جسيمات نانوية معدنية. [7]

ورغم أن المتاحف العالمية تزخر بهذه التحف الرائعة لكن قلما نجد الأهتمام فيها أو حتى وجود أي محاولة لتقليد نسخ (مثلا) للراغبين بالطلب أو الإقتناء.

[6] Trinitat Pradell & others, Technology of Islamic lustre, Article in Journal of Cultural Heritage · December 2008.

[7] U. Kreibig, M. Vollmer, Optical Properties of Metal Cluster Springer 25, Springer Verlag, 1995

وفي هذا الســـياق بات من الملحّ مراجعة متاحف الفن الإســـلامي في العالم، وكيفية تعبيرها عن هذا الفن وقدرتها على جذب الجمهور لها في ظل ضـــعف الإقبال عليها من قبل الجمهور، فهل اســـتطاعت هذه المتاحف جذب الجمهور لها؟ فما زالت هذه المتاحف تعرض التحف إما كمواد منفصلة كالخزف أو الأخشاب.. إلخ، أو طبقًا لعصور الإنتاج، ولا تعبر في عروضـها عن الحياة واستخدامات هذه التحف بما يحكي سيرة الإنسان الذي أُنتجت من أجله هذه التحف ليستخدمها في حياته، أو تقدم هذه العروض تقنيات صناعة التحف وما أحدثته من تقدم، أو تحكي قصـة الزخرفة في عصـر ما وفلسفتها وتطورها، وبذلك تكون قد أوفت شيئاً من حق هذا الفن العظيم.

المراجع

- J. Molera, A.D. Smith, M.S T. Pradell .(2008) .*The invention of lustre: Iraq 9th and 10th centuries AD* :بلا .J. Arch. Sci. 35.
- M. Vollmer U. Kreibig .(1995) .*Optical Properties of Metal Cluster Springer 25* .Springer Verlag.
- Trinitat Pradell & others) .December, 2008 .(Technology of Islamic lustre.
- الآن كايغر سميث. (2011). *الفخاريات ذات البريق المعدني*. ابو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.
- بدون كاتب. (2019). *النشرة السنوية*. نيويورك: متحف الميتروبوليتان.
- خالد عزب. (2019). الفنون الإسلامية : الماهية والفلسفة. تأليف خالد عزب وخيري دومة ودعاء بهي الدين وأخرون، *الثقافة الإسلامية : مداخل معاصرة*. الأسكندرية: مكتبة الإسكندرية- مركز الدراسات الإستراتيجية.

بحث من إعداد أنس عبد الكريم